قبر عليّ (عليه السلام)

الدكتور
رؤوف محمّدعليّ الأنصاري

مقدمة:

في عهد (الرشيد) أنشىء على القبر رواق عقدت عليه قبة، وفي أواخر القرن الثالث جاء محمّد بن زيد بن محمّد بن إسماعيل المعروف بالداعي الصغير ملك طبرستان فبنى على القبر حائطاً، وفي سنة ٣٣٨ هجرية بنى عمر بن يحيى قبة بيضاء على المشهد العلوي، وتجمعت حول المشهد بيوت للمجاورين من الشيعة وفي أواخر القرن الرابع انبعثت الإمارات الشيعية وتكاثرت العمارة حول المشهد وجاءت إمارة آل بويه وعزم عضد الدولة البويهي على إقامة أعظم عمارة للنجف فبذل الأموال الطائلة وجلب البنائين ومواد البناء والصناع وأهل الخبرة ونقل الأخشاب والصخور من أماكن عديدة وأنشأ قريباً من المكان المعروف ببئر ملاحة مصاهر للطاباق والجص وكان ينقل ماء الشرب على ظهور الجمال ثم حفر قناة للماء تصعد من الفرات إلى النجف وهي اليوم موجودة تعرف بقناة آل بويه وأنهض رواقاً عالياً عقد عليه قبة بيضاء وأقام عضد الدولة أمام الرواق بهواً كان يجلس فيه متأدباً لقضاء الحوائج وفي هذا البهو وتحت الرواق عقدت حفلة للتدشين تلك الحفلة التاريخية التي حضرها الأُمراء والنقباء والعلماء وهناك ألقى الحسين بن الحجاج قصيدته المشهورة.

وأقام الغرف والإيوانات وأنشأ داراً للضيافة وبذل الطعام للزائرين ثلاثة أيام وأجرى الجرايات وبث العطاء للذين ينوون الإقامة والمجاورة وتمكثت عمارة عضد الدولة إلى أواخر القرن الثامن للهجرة ثم كانت تجدد وترمم من قبل بعض النابهين وفي أوائل القرن الحادي عشر أُقيمت هذه العمارة الماثلة اليوم وهي العمارة الصفوية وتمهيداً لذكرها نذكر طرفاً عن رواق عمران بن شاهين الخفاجي من أهالي «الجامدة» احدى قرى البطائح في كور واسط وقد كان أميراً للبطائح وخرج على السلطة فناجزه عضد الدولة واستولى على إمارته ونجا عمران بنفسه وتشدد عضد الدولة في طلبه ولما حضر عضد الدولة إلى النجف لتدشين العمارة التي أقامها عزم عمران على الاستسلام في ذلك المشهد متوسلا بكرامة صاحبه للعفو ونذر أن ينشىء رواقاً عظيماً لذلك المشهد فجاء وألقى بنفسه في أحضان عضد الدولة ورعى عضد الدولة حرمة ذلك المشهد فعفا عنه ويمضي عمران بالوفاء لنذره ويبني رواقاً متصلا بالقبة المنيفة ولكن السلطان الصفوي هدم قسماً من ذلك الرواق وألحقه بالصحن حتى تتم دورة العمارة وتحسن هندستها وقيل إنّ سبب الهدم هو انحراف الصحن الأمر الذي أوجد تفاوتاً بين قبلة الصحن وقبلة الروضة وبذلك الهدم والتغيير استقامت القبلتان، وكان الصحن ينتهي قريباً من الباب المعروف بباب الطوسي وما وراء ذلك كان رواق

عمران فهدم السلطان قسماً منه واشترى ما حوله من دور وأقام هذه العمارة الماثلة اليوم وعند تبليط الصحن في عصرنا ظهرت بعض البيوت وبعض القبور القديمة منها بيت يقع في الجهة الشرقية للصحن وتحت التبليط القديم كان هناك تبليط بالقاشاني الأزرق مأزرة جدرانه بالقاشاني وفيه ثلاث دكاك نقش على إحداها هذا قبر (أُويس) ويظهر أ نّه من أولاد هولاكو كما يقولون إنّه قتل ونقل ودفن في النجف وعلى القبر الثاني نقش اسم امرأة (رياندە) أمّا القبر الثالث فيظهر أ نّه قبر طفل.

سبق وذكرنا قطع رواق عمران عن القبة وهو اليوم يعرف بمسجد عمران ويظهر أنّ باب مسجد عمران شرع أخيراً في دهليز باب الطوسي حيث توجد على ذلك الباب كتابة قديمة على حجارة مؤرخة ٧٧٠ هجرية وبما أن شروع هذا الباب متأخر عن هذا التاريخ بكثير فيلوح أنّ هذه الكتابة كانت فوق مقبرة بمكان هذا الباب فقد روي وجود مقبرة هناك تحتوي على ثلاثة قبور أحدها للأمير نجيب الدين أحمد والثاني قبر ابنه محمود المهابادي وإلى عهدنا يذكر محمود المهابادي هناك والثالث قبر زوجة محمود (سعيدة) من عائلة ملكية فارسية من ملوك الطوائف في عهد المغول عاصمتها (مهاآباد) أي عمارة القمر.

تجديد عمارة المكان وكنوزه:

يصف ابن بطوطة عمارة النجف في عام ٧٢٦ للهجرة بأ نّها أحسن مدن العراق عمارة وأكثرها ناساً وينوه عن بسالة النجفيين ونخوتهم ويذكر عدداً من أسواق النجف ويذكر القبر الشريف بإزائه المدارس والزوايا ويذكر الصحن باسم مدرسة عظيمة يسكنها الطلاب والصوفية ويذكر الباب الذي يدخل منه إلى الروضة وعليه الحجاب ويذكر أن عتبة الباب والعضادتين من الفضة وأنّ الروضة مفروشة بالبسط الحريرية وفيها قناديل من ذهب وفضة ويذكر أن في الوسط مصطبة مربعة مكسوة بالخشب وعليه صفائح من الذهب المسمور بمسامير فضية وقد غطت الخشب حتى لا يكاد يظهر وارتفاع المصطبة قرابة أربعة أمتار وفوقها ثلاثة قبور من المسك وغيره من أنواع الطيب يغمس الزائر يده في ذلك الطيب ويمر بها على وجهه ويذكر أنّ للقبة باباً آخر وهو مثل الأول عتبته وعضاداته وعليه ستور من الحرير الملون يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحريرية الحسان كما أنّ حيطانه وسقفه مستورة بالحرير وله أربعة أبواب ويظهر أنّ هذا المسجد هو رواق عمران بن شاهين قبل أن يقتطع كما أ نّه يذكر عن خزانة الروضة بما هي عليها اليوم ويذكر أ نّه كلّ ما يرد إلى الروضة

من ذهب وفضة يضعه النقيب في الخزانة. ويقول هي خزانة عظيمة فيها من الأموال ما لا يحصى.

إنّ العمارة التي ذكرها ابن بطوطة هي غير العمارة الماثلة الآن لأ نّه يصف ما كان في القرن الثامن للهجرة وعمارة اليوم خططت في أوائل القرن الحادي عشر على عهد الصفويين وأولهم الشاه عباس الأول عندما زار العتبات فأمر بتجديد القبة العلوية ووسع الحرم وجلب المهندسين والفعلة ووجد حول النجف معدناً للصخر في غاية الصفاء فاقتلع منه ما يلزم لتلك العمارة ودام العمل ثلاث سنين. ثم أن المشهد عمّر ورمم وجدّد مراراً عديدة ومن المجددين محمود وأشرف الأفغانيان ونادر شاه والعثمانيون والقاجاريون كلّ هؤلاء خدموا النجف بالبذل والهدايا والنفائس والقناديل الذهبية والأحجار الكريمة والطنافس والسجاد والكتب الأثرية والقرائين الخطية وقد نشأ من ذلك وجود أربع خزائن أهمها الخزانة التي كانت موضوعة في مكان تحت الأرض في حجرة بجنب المنارة الجنوبية وفي هذه الخزانة النفائس العظيمة وأكثرها من هدية نادر شاه منها خمسة قناديل مثبتة بفصوص ثمينة ذهبية فوق الضريح المقدس وفي الخزانة مجمر من ذهب وضع فيه ستة أحجار من الياقوت الأحمر تشع وتلتهب كأ نّها الجمر، وفيها عقد كبير من الماس كتب عليه (نادر) وفيها فصوص وأحجار ولآلىء وقد نقلت هذه النفائس من النجف إلى الكاظمية في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة خوفاً عليها من الوهابيين الذين استفحل أمرهم واستطار شرهم في جزيرة العرب وطفوف الجزيرة في العقد الثاني من القرن الثالث عشر وبقيت في الكاظمية أربع سنوات يقوم عليها الحرس وقد حملتها أربعة طوابير من الجنود العثمانية ولعلهم أول جنود للعثمانيين دخلوا النجف ثم أعيدت تلك الذخائر إلى محلها ولم تفتح هذه الخزانة إلاّ مرتين فقط الأُولى عندما زار العتبات السلطان ناصر الدين القاجاري في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة حيث صدرت الإرادة الملكية بأن تفتح له تلك الخزانة وكانت لا تفتح إلاّ بإرادة ملكية، فجاء ناصر الدين ومعه خبير بالأحجار النفيسة والأثريات ومعه أحد العلماء وهو السيّد عليّ آل بحر العلوم ومعهم الخازن وبعد أن اطلع عليه أمر بغلقها، ومرة أُخرى فتحت على يد متصرف كربلاء صالح جبر ومعه ممثل من العلماء وخبير والخازن وبعد الوقوف على ما فيها نقلت بكلّ تحفظ واحتياط إلى داخل الروضة وشقت لها سارية من السواري وأتى بصندوق حديدي كبير وبمقدار من القطن المعقم فلفت تلك النفائس ووضعت مرتبة في ذلك الصندوق بعد أن سجل ما فيه ووقع الحاضرون على ذلك السجل الذي أُودع ذلك الصندوق إلى جنب

السجل الموقع من قبل ناصر الدين شاه ورفاقه وسد الصندوق وسدت السارية، أمّا الخزانة الثانية ففي الضريح نفسه وفيها كثير من النفائس والأحجار والخزانة الثالثة في الرواق مما يلي الرأس الشريف يكثر فيها السجاد والرابعة في بيت صغير من الصحن في الوجه القبلي كانت تكثر فيها الكتب من المخطوطات.. هذا عدا عما في الحضرة من القناديل الذهبية المعلقة الكثيرة العدد.

ولما ذهّب نادر شاه قبة أميرالمؤمنين(عليه السلام) سنة ١١٥٥ قال السيّد نصر الله الحائري قصيدة يمدح بها أميرالمؤمنين(عليه السلام) ويؤرّخ التذهيب وهي:

إذا ضامك الدهر يوماً وجارا * فلذ بحمى أمنع الخلق جارا**

عليّ العليّ وصنو النبيّ * وغيث الورى وغوث الحيارى**

هزبر النزال وبحر النوال * وشمس الكمال التي لا توارى**

إلى أن يقول في وصف القبة:

هي الشمس لكنها مرقد * لظل المهيمن جل اقتدارا**

هي الشمس لكنها لا تغيب * ولا يحسد الليل فيها النهارا**

هي الشمس والشهب في ضمنها * قناديلها ليس تخشى استتارا**

عروس تجلّت بوردية * ولم ترض غير الدراري نثارا**

فها هي في تربها والشعاع * جلاها لعينيك دراً صغارا**

بدت تحت أحمر فانوسها * لنا شمعة نورها لا يوارى**

هو الشمع ما أحتاج للقط قط * ولا النفخ أطفأه مذ أنارا**

ملائكة العرش حفت به * فراش ولم تبغ عنه مطارا**

هي الترس ذهب ثم استظل * به فارس ليس يخفى افتقارا**

وياقوتة خرطت خيمة * على ملك فاق كسرى ودارا**

وحق عقيق حوى جوهرا * تخطى الجبال وعام البحارا**

ولم يتّخذ غير عرش الإله * له معدناً وكفاه فخارا**

حميا الجنان له نشوة * تسر النفوس وتنفي الخمارا**

إذا رشقتها عيون الوفود * تراهم سكارى وما هم سكارى**

عجبت لها إذ حوت يذبلا * وبحرا بيوم الندى لا يجارى**

وكنت أُفكر في التبر لم * غلا قيمة وتسامى فخارا**

إلى أن بدا فوقها يخطف النـ * ـواظر مهما بدا واستنارا**

وما يبلغ التبر من قبة * بها عالم الملك زاد افتخارا**

ومذ كان صاحبها للآله *** يداً أبداً نعمة واقتدارا
يد الله فوق أيديهم *** بدت فوق سرطوقها لا توارى
وقد رفعت فوق سرطوقها *** تشير إلى وافديها جهارا
هلموا إلى من يفيض اللهى *** ويردي العدى ويفك الأسارى
وتدعو آله السما بالهنا *** لمن زار أعتابها واستجارا
قد اتصلت بذراع النجوم *** وقد صافحتها الثريا جهارا
وكف الخضيب لها قد عنا *** غداة اختفى وهي تبدو نهارا
قلائدها الشهب والنجم قد *** غدا اشنفها والهلال السوارا
وبالآي خوف عيون الأنام *** ممنطقة قد بدت كالعذارى
غلت في السمو فظن الجهول *** بأن لها عند كيوان ثارا
وكيف وكيوان والنيرات *** بها من صروف الزمان استجارا
ترى لوفود الندى حولها *** طافاً بأركانها واعتمارا
وفي قصر غمدان بأن الصور *** غداة تجلّت وأن عز دارا
ومهما بدا طاق إيوانها *** أرانا الآله هلالا أنارا
لعين ذكاء غدا حاجباً *** بنور أحال الليالي نهارا
هلال السماء له حاسد *** لذلك دق وأبدى اصفرارا
هلال لصوم وفطر غدا *** لهذا يسر ويسمو فخارا
له طاق كسرى غدا خاضعاً *** وقد شق من غيظه حين غارا
***
ولما بدا لي المناران في *** حماها الذي في العلى لا يبارى
هما الهرمان بمصر الفخار *** إبانا عجائب ليست تمارى
عموداً صباح ولكن هما *** معاً صادقان لنا إن أنارا
أحاطت بها حجرات بها *** نقوش بزينتها لا توارى
لأطلس أفلاكها فاخرت *** بموشى برد به الطرف حارا
أزاهر روض ولكنها *** أبت منة السجب إلاّ اضطرارا
فثغر الأضاحي بها ضاحك *** وإن لم يرق جفن مزن قطارا
ونرجسها طرفه لا يزال *** يلاحظ للحب ذاك المزارا
كوشي الحباب وكالوشم في *** معاصم بيض جلتها العذارى
وقد أخجلت أرماً فاغتدت *** محجبة لا تميط الخمارا

بها الآي وتحيي العلوم *** فيشفى غليل القلوب الحيارى
هي النار نار الكليم التي *** عليها الهدى قد تبدّت جهارا
تبدّى سناها عيناً فأرخـ *** ـت آنست من جانب الطور نارا

المكتبة العلوية:

إنّ الجاليات والروّاد الهابطين على النجف من بلاد ايران والهند وآذربيجان وما وراء النهر والقوقاز وجبل عامل والخليج وبعض نواحي اليمن كانوا يفدون على النجف بثرواتهم المادية والأدبية وأهمها أمّهات الكتب المخطوطة من كتب الفلسفة والرياضيات والأدب والفلك والتاريخ والمسالك والممالك وقد كان رواد العلم وطلابه يسكنون على الأغلب المدرسة العلوية الكبرى «الصحن» ومنهم المقيم في غيرها من المدارس والدور الخاصة وكان لهم نقيب ينظم شؤونهم وكانت في المدرسة العلوية خزانة كتب نفيسة تجمّعت مما يحمله المهاجرون وكانوا بعد ما يتزودون بزاد العلم ويعتزمون العودة إلى أوطانهم يتركون ما حملوه من نفائس الكتب وما ألّفوه من رسائل وأطروحات في خزانة المدرسة العلوية موقوفة على طلابها، وأوّل من أسس المكتبة العلوية الصدر الكفي المعروف بالآوي الذي أوصى ابن أخيه بشراء الكتب وجعلها وقفاً على طلاب النجف وسنحت له الفرصة بالإكثار في شراء الكتب أن بغداد أصيبت بغلاء وقحط فباعت خزائن الكتب للغلة وأكثر البيع كان على النجفيين وقد ذكر الواعون من النجفيين أ نّه كان على رفوف المكتبة العلوية عشرات ألوف من الكتب بما فيها نسخ القرآن الأثرية وكتب الأدعية والأوراد. وقد فرقت يد الحدثان تلك النفائس ولم يبق اليوم إلاّ ما يقارب الأربعمائة نسخة وقد وقفت بنفسي على كتاب في علم المنطق كان في بيت أحد الفضلاء من النجفيين كتب على ظهره ما نصه:
«هذا كتاب من كتب الخزانة العلوية».

ولما صارت النجف محطة علمية للعلماء انتشرت فيها المدارس والمكتبات ونشأت فيها بيوت كثيرة للكتب ولع بجمعها رجال عرفوا بذلك الشغف وبذلوا الجهد والمال عاكفين على الحصول عليها من مظانها فتيسر لهم من نفائسها ما كون الخزائن، مثل مكتبة الشيخ عليّ وولده الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء ومكتبة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ومكتبة محمّد الباقر التوستري ومكتبة المحدث النوري ومكتبة السيّد محمّد آل بحر العلوم ومكتبة السيّد جعفر آل بحر العلوم ومكتبة السيّد هاشم آل بحر العلوم ومكتبة الشيخ الخونساري، ومكتبة السيّد محمّد اليزدي ومكتبة الشيخ محمّد

السماوي ومكتبة السيّد رضا الحكيم ومكتبة السيّد أبو الحسن الأصفهاني ومكتبة السيّد محسن الحكيم في هذه السنين الأخيرة أسس الشيخ عبدالحسين الأميني مكتبة كبرى سماها مكتبة أميرالمؤمنين(عليه السلام)، تعتبر اليوم من المكتبات العالمية.

أبواب صحن المقام:

لم يكن للصحن أوّلا أكثر من بابين: باب الحضرة وهو الذي ذكره ابن بطوطة، وباب الطوسي وهو الذي ينتهي إلى دار الطوسي وفي عام ١٢٧٩ للهجرة فتح الباب المعروف بالباب السلطاني لأ نّه فتح للسلطان ناصر الدين القاجاري عند زيارته للنجف ويعرف أيضاً بباب الفرج، وأمّا الباب القبلي الواقع في الجهة الجنوبية للصحن فقد فتح سنة ١٢٩١ للهجرة في عهد متصرف الحلة شبلي باشا يوم كانت النجف تابعة إلى إدارة الحلة وخامس الأبواب الباب المعروف بباب القيصرية في الجهة الشرقية للصحن فتح في أواخر القرن الثالث عشر وقريباً منه فتح في العقد السابع من القرن الرابع عشر للهجرة الباب النافذ إلى مسجد الحضرة.

المقام في وضعه الحاضر:

بناية فخمة نفيسة تاريخية تسمى «صحناً» وهي عمارة ذات قاعة مربعة غير تامة التربيع وذات طابقين كلها مقطعة بإيوانات وفي كلّ إيوان بيت صغير يفصل كلّ إيوان عن إيوان ساريتان كلّ واحدة بعرض متر أو يزيد قليلا وارتفاعها عشرة أمتار أو ما يزيد قليلا يعقد بين الساريتين قوسان:

القوس الأول: وفوقه عصابة من القاشاني البديع بعرض نصف متر لسقف الطابق الأول.

والقوس الثاني: وفوقه عصابة من القاشاني لسقف الطابق الثاني وعصابة هذا القوس عليها كتابة بالقاشاني لبعض الآيات القرآنية وقد كتب بالقاشاني الأبيض المرشوش بالقلم النسقي البديع كتابة نفيسة وتسمى هذه العصابة في الريازة النجفية «الكتيبة» وهكذا تقوم عمارة الصحن إيوان وبيت وسارية على سارية يمنطقها من الوسط نطاق من القاشاني بعرض نصف المتر وتعصبها من الأعلى كتيبة بعرض نصف المتر تقريباً إلاّ قسماً من الجهة الغربية يشكل طاقاً يمتد من ظهر الحرم ومساناداً له على امتداده وذلك الطاق لا يستوعب الجهة الغربية كلها بل يستوعب في الجنوب مسافة أربعة إيوانات ومثلها في الشمال الغربي ويوجد للصحن أربعة إيوانات ذات طابق واحد كبيرة

وشاهقة ينعقد على كلّ واحد منها قوس من القاشاني مطوي بشكل اطار وبجنب ذلك الإطار إطاران من القاشاني المكتوب بآي القرآن واحد منها يقع في الجهة الشمالية وهو مقتطع من رواق عمران بن شاهين وقد رمّز عليه كتابة بالقاشاني بقوله تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـجِدَ اللَّهِ).

ويقابله الإيوان الثاني وهو أيضاً مقتطع من رواق عمران ويسمى إيوان العلماء والثالث في الجهة الجنوبية وقد دفن فيه السيّد محمّد سعيد الحبوبي فأصبح معروفاً باسمه ويقابله الرابع وهو في ظهر الحرم وفي أعلاه الميزاب الذهبي ويسمى إيوان ميزاب الذهب.

ومما بسطنا تعرف أن الصحن حصار عال تحيط به الإيوانات والحجر وقاعته المكشوفة مثله ويكمل دورته طاق معقود في الجهة الغربية وأرض الصحن مبلطة بالصخر الصافي وقد قطع قطعاً هندسية وحيطانه مؤزرة إلى ارتفاع مترين بذلك الصخر وما عدا ذلك الارتفاع قد كسي بالقاشاني الملون بألوان بديعة تمثل روضاً من رياض الفن قد أبدعت فيه ريشة المصور ومنقاشه فكم خط ذلك المبدع أزهاراً وتقاسيم وخطوطاً وتخريماً وريازة عليها جمال الصناعة وجلال العلم وهيبة الدين كلّ هذه قد اجتمعت وامتزجت فكوّنت مادة لذلك التصوير ورشاشاً لذلك القلم وأصباغاً ودهاناً لتلك الريشة وفي ذلك الصحن قامت بجلال ووقار قبة ذهبية قد أفرغت بأبهى صورة معقودة على بناية مهمة بديعة الهيئة أنيقة الوضع تسمى (الحضرة) وتسمى (الروضة) وحقاً أ نّها روضة صناعية أو معجزة الفن أ نّها تاريخية خالدة في فن البناء والريازة والهندسة بناية جليلة جميلة قامت بشكل إيوانات أربعة عالية عقد على كلّ إيوان اطار وقوس وفوق تلك الإطارات والأقواس عقدت القبة المنيفة تاج الجزيرة الذهبي.

وفي وسط تلك الروضة دائرة من المرمر الأبيض بارتفاع شبرين تقريباً وهذا الدائر يحمل الشباك الفضي ووراء هذا الشباك شباك آخر من الفولاذ يحيط بصندوق من الخشب النفيس المعروف (بالخاتم) وهذا الصندوق يشعر بالرمز المقدس لعرين الأسد أميرالمؤمنين(عليه السلام) ويسمى (الضريح) وبين الشباكين فاصلة بمقدار متر وهناك باب فضي لا يفتح إلاّ بوجه كبير من الملوك والعلماء يدخل إلى ذلك الممر الفاصل وفي باطن القبلة المنيفة نطاق من كتابة لآيات من القرآن كتبت بالميناء وما عدا هذه الكتابة فكلّ باطن القبة منقوش بالفسيفساء نقشاً بديعاً بلغ حد الإعجاز ولتلك الروضة أربعة أبواب من الفضة وباب ذهبي حديث والروضة والأروقة الأربعة ممردة

وتوجد ستائر حريرية مقصبة تؤزر بها الروضة والإيوان أيام الاحتفالات وتوجد أنواع الكسوة للصندوق والشباك المحيط به.

وتوجد في الروضة قناديل من ذهب بعضها منبت وفي الروضة كثير من الهدايا القديمة والحديثة ونفائس من الفصوص والسيوف المذهبة والساعات والأحجاب والمسارج ونسخ القرآن المخطوطة بالخطوط الأثرية وفيها من النفائس سجاد بديع غاية في الإبداع قد نسج من الإبريسم ولباب الصوف يقيس في الطول أكثر من مترين تقريباً وأكثر من المتر بقليل في العرض وقد وضع بشكل محراب المصلي وله اطار مكتوب نسجاً بآية الكرسي وبأحسن خط وفي أعلاه نسجت صورة أسد يرمز بها إلى أميرالمؤمنين(عليه السلام). وعلى الجانبين نسجوا احدى عشرة صورة يرمزون بها إلى الأئمّة من أولاده وأحفاده ونسجوا على ذلك السجاد سورتي الحمد والتوحيد والتسبيحات التي ترد في الصلوات والتشهد والتسليم فيها أربع قطع من السجاد النفيس المنسوج من الإبريسم وهي عمل بعض الأميرات الصفويات وقد نسجن تواقيعهن وتواريخ النسج وفيها نسخة للقرآن الكريم بخط الأمير إسماعيل الصفوي بتاريخ ٩٩١ للهجرة وعليها غلاف أفرغ من ماء الذهب المذاب وقد نبت بالأحجار ونسخة ثانية على كرسي العاج المرصع بالحجر الثمين وقد لفّ بثوب من الاستبرق موشى بأسلاك الذهب في فن خارق وصناعة بارعة وغلاف ملون بالفسيفساء والميناء وهو غاية في جودة الخط بالقلم النسخي وثالثة على كرسي مبرقع وهي بتلك النفاسة التي نوهنا عنها وعلى هذه النسخة تفسير بالفارسية وقد استخدم في كتابتها وتنقيحها كثير من الأصباغ ومحلول الذهب فكانت من أبدع الآثار الخطية، فأنت ترى أنّ تلك الروضة روضة فنية، أ نّها بيت آثار وخزانة تاريخ لو نسق ما فيها من تحف وصفف لكانت من أبدع دور الآثار في الشرق. إنّها جنة للذوق وفردوس للفن، تخرج من تلك الروضة إلى أربعة أروقة تحيط بجوانبها وقد مردت جدران الأروقة وسقوفها وتأزرت بالصخر الفاخر ومنه تبلطت أرضها وفي الأروقة خمسة أبواب منها الباب الواقع في جهة الجنوب يسمى باب المراد لأ نّه فتح للسلطان مراد العثماني عند زيارته للنجف وفي وجه الحرم بهو يرتفع عن قاعة الصحن بمرقاتين ويسميه النجفيون (طارمة) وفيه أربعة بيوت صغيرة وإيوان كسروي يسمى إيوان الذهب وفي وسط الإيوان باب فضي يدخل منه إلى الرواق وهو الباب الذي ذكره ابن بطوطة وما زال حتى اليوم عليه نص الزيارة التي ذكرها تتلى من قبل الزائرين وهذا الإيوان والبهو هما اللذان أنشأهما عضد الدولة البويهي أو أ نّهما بمكان ما أنشأ وترى هذا الإيوان مع وجه البهو مما

يلي الحرم مؤزراً بالصخر الفاخر وقد كسي ما فوق ذلك الإزار بالذهب وتمنطقه كتابة ذهبية كتب فيها آي القرآن وقطع من الشعر الفارسي وفي وسطه تتدلى سلسلة ذهبية وإلى جانب الإيوان قامت مأذنتان مكسوتان بالذهب ناهضتان إلى السماء في ذلك الجو الديني كأ نّهما عنفان ذهبيان شخصتا إلى السماء عزة وافتخاراً وبين المأذنتين جلست تلك القبة الذهبية المتوهجة كأ نّها شعلة مقدسة على جبل من ذهب أو نار الكليم تلوح في الوادي المقدس قامت توقد النجف ووواديه شمس من ذهب يتكسر عليها نور الشمس فما ألطف ذلك العالم المتكوّن من النور والذهب وما أبهى القبة المنورة والمئذنتان والإيوان ووجه البهو إذا سالت عليها أشعة شمس الصباح متمرغة بتراب أعتاب تلك القبة المقدسة وأخيراً نور المشهد بمصابيح الكهرباء فامتد بين المأذنتين سمط منظوم من كواكب وجعلوا في أعلى القبة طوقاً من المصابيح ما أروع المنظر وما أجله وأجمله حتى كأن تلك الكومة من النور مشعل يشع في الفضاء. وبقاعة الصحن من الجهة الشرقية كانت مسرجة كللوها بالمصابيح على شكل مخروطي إذا أسرجت تريك عنقوداً من نور قد هبطت به ملائكة الذوق من فردوس اللطف وهذا الذي مر عليك ذكره كله من بذل نادر شاه في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة وتلك السلسلة الذهبية المعلقة في وسط الإيوان الذهبي هي السلسلة التي ربط بها نادر شاه عنقه وأمر أن يسحب إلى ذلك الحرم خاشعاً ضارعاً وأبقى هذه السلسلة ذكرى لذلك الانقياد...

وقبالة الإيوان على الباب الشرقي نصبت ساعة كبيرة ذات صفحات أربع بيض معلمة بأرقام سود وعليها برنس من الذهب وأجراسها تدق في كلّ ربع ساعة ولها رنين في ذلك الجو الديني يتموج مع أصوات المبتهلين ونبرات الداعين فكأ نّه رنين ابتهال الزمان في ذلك المكان المقدس ولتلك الساعة الفخمة المرتفعة الصلبة الأجراس رنين يطبق أرجاء النجف فهي ميقات النجف كله لا ميقات المشهد فقط وليست هذه أول ساعة نصبت هناك فقبلها كانت ساعة ولكن فضلت هذه ورفعت تلك وقد استرعى الأذهان موقع ذلك الباب الكبير القديم فأقاموا عليه قوساً من القاشاني المطوي والمفتول طرائق طرائق بكلّ لطف وابداع يحيط به اطار قاشاني مكتوب بآي القرآن الكريم وبالقلم النسخي البديع وفي أعلى ذلك الإيوان عصابة من القاشاني المكتوب وفي داخل الإيوان اطار ذهبي ونطاق قد كتب بمحلول الذهب فما أجمل ذلك الوجه وما أبدع قسماته البهية وما أروع ذلك البناء الذي يضيء حجارة ويضوع طينة. وفي الصحن أربع عمارات مستقلة ولكنها داخلة فيه أولا: المدرسة المعروفة بمدرسة

الصحن الواقعة في الجهة الشمالية وثانياً: جامع كبير يسمى مسجد الحضرة شرقي الصحن ثم يقال هذا المسجد عمارة ضخمة تسمى التكية وهي زاوية للغرباء من الصوفية خصوصاً فرقة (البكتاشية) ولها جراية من غلة اقطاعية زراعية قريبة من الكوفة وعليها موكل بالصرف ورابعاً: جامع في جهة التكية وهو بناء صفوي يسمى مسجد الجمعة.

الصحن والدفن فيه:

كانت أرض الصحن وعرة لكثرة ما فيها من قبور ومحاريب وكانت سائر المحاريب ظاهرة على وجه الأرض وفي سنة ١٢٠٦ طمست ساحة الصحن وعملت السراديب الخاصة بالدفن، وبلطت أرض الصحن بالصخر المرمر، والتصليحات في ساحة الصحن جارية والدفن فيه جار لحد الآن.

وفي سور الصحن عدد من الإيوانات في كلّ إيوان حجرة، أُعدت لتكون مقبرة وقد دفن عدد كبير من المشاهير في هذه الحجرات.

مدرسة الصحن الكبرى:

وكانت هذه المدرسة جزءاً من صحن الروضة الحيدرية، وحين زار الشاه صفي الدين حفيد الشاه عباس الصفوي مدينة النجف سنة ١٠٤٢ هـ (١٦٣٣ م)، أمر بتوسيع صحن الروضة الحيدرية، حيث شيّدت غرف للدراسة تحيط بالصحن موزعة على طابقين تتقدمها الأواوين التي تعلوها الأقواس المدببة وزينت بالبلاط القاشاني الجميل.

وأعد الطابق الأرضي للدراسة أمّا الطابق الأول فقد خصص لسكن طلاب العلوم الدينية. ويشغل غرف هذه المدرسة اليوم من لهم ارتباط بخدمة زوار الروضة الحيدرية.

***